(١٣)

# الإنسان بآزاله معية الإنسان بآباده في آحاد الوجود، علما على معلومه له قياما للإنسان علما على الإنسان في علمية الإنسان على الحق في الله

**حديث الجمعة**

**١٢ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٢٤ أبريل ١٩٦٤ م**

بسم الله، أحدية الباطن والظاهر.

بسم الله، فاطر السموات والأرض باطنا لها، وفطرة السموات والأرض ظاهرة به.

بسم الله، الوجود في فطرته، على صبغته.

بسم الله، أحدية الآحاد فيه، وما وراء وجوه أحديته بآحاده.

بسم الله، الكل لا يخرج منه بعض، ولا يتبعض فيه كل.

بسم الله، كُل كل كل، لا كل له، اللانهائي في معناه، اللانهائي في وجوده، اللانهائي في جوده على موجوده.

بسم الله، لا شريك له، معروفا لا ينكر، واجب الوجود وجودا لا يكفر، قائم المعلوم لا يجهل، ولا يحاط فيعلم.

باسم الله المحيط، وإحاطة كل كائن بشيئه، وعجز كل شيء عن إحاطته بكائنه لحقي عبده.

جاءت رسالة السماء منه أسماءً، إلى قيامه بحقه، تجليا بخلقه، وقياما لأمره، في قائمه بوجوده، فقامت بها الفطرة مصدرًا للعلم، وكتابا للمعلوم، وقامت بها الفطرة مبينة مستقيمة بما علمت، وجددتها الفطرة، كلما هي بفاطر السموات والأرض بجديد وجود تجددت.

جددها في الأرض حضرة وجود بها لأهلها، بدايات. وجددتها في السماء للحق بالخلق حضرة شهود بحقها لأهلها، نهايات. وقامت السماء أسماءً بآزال قيوم بالحق على الأرض، حقا قائما بآباد، فالتقى القيوم للحياة بالقائم بالحياة، والتقى الفقير بالغني، والتقى المفتقر بالمُغني، والتقت النفس بمعيتها من الحق، فقام الإسلام، قياما للفطرة بفاطر السموات والأرض، على السموات والأرض مفطورة بأمره، وبتمام مجيئه بمثال الكمال الإنساني له جاءها أمر الله، عبدا تمت به كلمة ربه في الله، فكملت في الله عبوديته، رسولا من أنفسهم إلى الفقراء والمفتقرين إلى الحقيقة، ينشدونها لأنفسهم، ويبحثون عنها في أنفسهم، ويعنيهم أمر أنفسهم في أمرها، وشأنهم في شأنها، وقيامهم في قيامها.

به جاء المعلم الموعود، والوجه للحق المنتظر لمعاني الشهود، الذي أظهره المطلق على الدين كله، عبدا اجتمع على ربه فكانه، فبعث بالحق وقام به، فكان الدين كله، ومصدرا للدين كله، وطريق الاستقامة بالدين، والانتفاع بأمره والاستقبال لعلمه، فكان ظهور المثل الأعلى واجب الوجود لواجب الوجود.

كلما ظهر، كانت به الساعة العامة، والقيامة العامة متى ظهر، وحيث ظهر. تواجد كلما وجد إنسان للحق، تخلق بأخلاق الأعلى، فقام وعامل بها، بعلم على ما عَلم فعلَّم، وبكلام على ما كُلم فكَلَّم، باستقامة على ما قُوم فقَوَّم، فكان جماع البلاغ والطريق في دورة الساعة باتحادهما في إنسان للحق متجدد، يتجدد في تجدده الطريق والبيان، بدءا ليوم به من أيام الله، به يظهر الحق، إذ يمتد بسره بدءا من كل تكوين، رحمة للعالمين، بعثا للإنسان بالحق المبين من أعلى عليين، رسالةً وتبليغًا وهديا. وبذلك كان الطريق المستقيم للفرد والجمع من أسفل سافلين إلى أعلى عليين في تقويمٍ للنفس في نفسها مرحومة ورحمة للعالمين.

هكذا كان، وهكذا يكون، علما وإنباءً، وإمامة، وريادة، وقيادة. به كان الخلاص، ومنه فاض الإخلاص، فقامت به الحياة، ومنه انتشرت الحياة، بأحواض الحياة من مصاحبيه ومتابعيه، من يومه لأيامه وبليله لياليه. فبالحياة تعطى الحياة. به كانت قيامة الفطرة، تقوم فتقوَّم، وتبعث الفطرة بعثا من بعد بعث.

بهذا جاء ويجيء دائما رسول الفطرة، وعليه قامت وتقوم رسالة الفطرة، وبوجوب وجوده لواجب الوجود كان في الفطرة الكفاية الذاتية للحقيقة، وللمعرفة، وللاستقامة، وللتطور، وللكرامة، فكان دائما خاتم النبيين كلما ختمت له نبوة بآدم، وبدئت به حقيقة بعبودية الإنسان للإنسان في نفس الإنسان.. رجل سلم لرجل في معراج الله.

فلنتأمل في قانون من قوانين الفطرة، حمله بلاغها على لسان رسولها بقول كتابه {إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}[1]. الفطرة تُنتج شهداءها، والفطرة تُعلِم عن شهيدها لشهدائها، وتكشف عن نظام مجتمعه قائما على شهدائها، شهيدا عليهم، مشهودا من الأعلى، شاهدا به، مشهودا من الأدنى، معنى ووجها للأعلى، مشهودا به فيه، فتكشف عن قانون من قوانينها (خير الأمور الوسط)[2]، إذ تجعل من رسول الفطرة أمرا وسطا، وتجعل من الأمر الوسط أمرًا لله لمن يريد أن يعرف الله، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[3]، وتجعل من أمته كلمات لله، ومن أهله مسحاء لروح القدس لمعناه (أعطيت جوامع الكلم)[4]. ثم عمم هذا القانون الظاهر به، الواقع عليه في واقع أكبر، إذ يقول الكتاب {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}[5]، فكشف عن سرمدية بني آدم في الآزال والآباد، وكشف عن معناهم من الأمة الوسط والأمر الوسط.

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، لا نهاية لجديدهم، ولا توقف لخلقهم، ولا انقطاع لامتدادهم، ولا انتهاء لقيامهم، ولا بدء لأولهم، ولا انتهاء لآخرهم، شهداء على الناس، لا أول ولا آخر لهم، ويكون الرسول عليكم شهيدا، تدخلون في الآزال باستخلاف لجديد، وتدخلون في الآباد بدوام بوليد.

إليه تنتهي المعارف، ومنه تبدأ المعارف، وإليه انتهى القديم، بقديمه مثلا أعلى، وإنسانا في أحسن تقويم، ظهر به ذكرًا محدثا، على مثال من ذكر بأحسن تقويم، لذكر قديم، وأقدم في آزال الله، لا يجز له في الله، به فيه مرتقيا عطاء، ولا ينقطع له منه فيه رجاء.

إليه ينتهي المسير من حاضر طلبا للحجيج، وحوله يقوم الطواف طلبا للمزيد، وفيه بيتا يذكر فيه اسم الله تدخله النفوس المطمئنة، تتم المعرفة، ويتحقق الخلاص، تدخل إلى مأوى للحياة لا انقضاء لها، وتبدأ المسير في الحياة لا توقف لها، وتركب سفينة الخلاص في أمان لا خوف فيها، ولا خوف لها، ولا خوف عليها. إنه نهاية الخلق في طلب الخالق، وإنه بداية الخالق للقيام بالخلق، حقا مصاحبا، رحمة من الله مهداة، وكرما مفاضا.

كافة للناس جُعل، فالمسير معه لا نهاية له سائرا متَابِعا متَابَعا، فبداية متابِعه أن يكون السائر إلى الحق معه ظلا له، فيتصف بالسالك للطريق إلى لانهائي الحق، حتى يكون به ظلا للحق عين قيامه ظلا له، في قيام لظلال الحق من الحق بالحق لا عد لها. جاء بالحق، والحق به في قائم الخلق بالحق قائم، والحق به في دوام يجيء في قائم حقه، في مراقي ومعارج اللانهائي في اللانهائي باللانهائي معبودا، الحق به رسولا وربا راعيا مشهودا.

إن رسول الفطرة يوم جاء بدين الفطرة بعد أن جاءت أبعاض العلم بها مع كل نبي عنها، تجمعت معالم أبعاضها في جماع ذاته لبيته وأمته، يوم قام بيننا محمدًا، وبعث محمودا، وظهر أحمدا، وانتشر حامدا، تمام عيساه وحق آدمه، وروح إنسانه، فجاء بكتابه منه، به، إليه جامعا، فتمت نعمة الله به على خلقه. وما محت الفطرة بكتابه سابق كتبها، وما محت الفطرة بجماعها أبعاضها فيه بأبعاضه لنا. فقد جاء ليتمم، وما جاء ليمحو بل ليجدد ما ظهر من الحق. كما كان من أمره نقض بناء الباطل كلما جدد الخلق بفعلهم للباطل بناء. فلا يدرك كتابه إلا إذا اجتمعت إليه صحفه من كتب سبقه بمعناه، ولا تدرك ذاته جماع رسل الفطرة إلا إذا اجتمعت أبعاضه فيه، بمعنى أمته فردا هو فرده، وبيتا هو بيته، وبيوتا هي مدينته.

إن محمدا كان أمة على ما كانه، تبشيرا به {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا}[٦]، وما كان محمد إلا كافة، وما كان الناس كافة إلا محمد، في مراحل أطواره، وفي مظاهر حكمته، وفي مفاتيح أسراره، وفي معالم أخباره. اجتمع به الزمان في لمحاته باجتماع أمته على وعيه، وما أمته إلا الناس جميعا، زويت له الأرض وجُعلت له مسجدا وطهورا، وجعل بكل لغة في قومها بأهل العلم منها رسولا بما جعل له من نور يمشي به في الناس حيا في مقابره من قلوبهم تنشق عنه أرض القلوب يوم به تحيا قلوبهم بنور الله معه، منكرا على اسمه ومسماه إلى اسم الله وحده.

هكذا ظهر بمحمد كفاية الفطرة لأبنائها، وكفاية الفطرة الذاتية لإعلامها بأعلامها في العلم عنه بها، يقوم ويتقلب في الساجدين معلوم الناس عنهم في علمهم عن ربهم بالعلم عن الحياة لهم، بمثل أعلى بينهم يقوم، {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم}[٧] .

يظهر بينكم بعباد الرحمن، ويتحدث إليكم بعلماء الإحسان، بما يراه هو عنكم مما يصلح به حالكم، لا بما تشتهي أنفسكم أن تسمعوا من وعود لكم بما تخفي قلوبكم من شهوات أنفسكم، وجمحات عقولكم، ونزوات ذواتكم، زخرف قول من أدعياء معناه لكم، شياطين مردة.

هو خبير الرحمن الدائم، ما عرفتم بالرحمن بينكم خبيرا. وهو عليم الله المتكلم، ما صدرت من صدر أحدكم نفثات الحق، وإشراقات المعرفة، ببيان لعَالِم صادق منكم. (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٨]. إنه النبع الفياض الدائم بالقلوب الحية والضمائر اليقظة. إنه عيون ماء الحياة المتعددة في الأمكنة من الأرض والمعارج من السماوات.

إنه الأزمنة من الدهر بأحياء القلوب، وسرج النفوس المشتعلة، وأنوار مصابيح العقول المشرقة. إنه أحواض الحياة المورودة في كل عالم حي، يرد أهله مياه الحياة ما رأوها، ما لمسوها، ما تذوقوها، ما طلبوها، ما إليها افتقروا فلها وجدوا. عَبَّرت الطبيعة عن معناه في هذا لأهله، بعيونها لمدينة هجرته، كما

عبرت عن انفراده في أحديته بعين ماء بلدة نشأته، لإسماعيل وُجدت ولعبد المطلب كشفت، وبينهما عن الخلق وفي الوجود طُمست.

إنه كفاية الفطرة، لطالب الفطرة، بكنوز الفطرة، بمغانم الفطرة، في كل من طلب الفطرة، مفطورا بها، ومفطورا عليها. إنه الواقع.. إنه الحياة في واقعها.. إنه العَلم لمعلومكم عنكم.. إنه العِلم في كتابه كتابا لكم من أنفسكم، يوم تُرفع أحجبة الغفلة عنكم، يوم تزول حجب الغفلة عن حقائقكم، فتنعكسوا بأبصاركم وبصائركم إلى معلومكم عنكم، وقيامكم بكم، علما عن المعلوم لكم، المعروف بكم، واجب الوجود بوجودكم في موجودكم.

إنكم نعم الأسماء، أسماء حسنى لله، المؤمن بنفسه، القائم بقيامه فيكم في قيامه بكم لقيامه عليكم، بإدراكه لقائمه بنفسه بقيومه لقائم علمه في قيام علمكم من علمه عنكم، وبقائم حسكم في قيام حسه بكم في أمركم منه، لأمره بكم منه وإليه في أمره به، آمرا ومأمورا، وحاملا للأمر منه.. مرسلا، ومرسلا إليه، ورسولًا. هذه هي حقائق الوحدانية في أحدية الإنسان الموحد لله بالله في الله في دين الفطرة.

بهذا يعلم الإنسان الوحدانية يوم يؤمن بوحدانية جنسه، ويوم يقيم بمحبته لربه، ظاهرا بالناس باطنا لهم قبلة، بمحبته لمثال يصطفيه ولنفسه يرتضيه، من مجتمعه وفي زمنه، يراه امتدادا لمعتقده في مؤسس لدين، ومقيم لطريق وتعاليم، إن كان له ذلك يتوحدا معا، ويتواجدا أحدا، فيتكشف وجه الله بأحدهما له بوجهه بالآخر، مرآة له وجها لوجه. (المؤمن مرآة المؤمن)[٩] ، يشهد من هو من ورائه محيط، بمرآة أخيه من ورائه محيط.

بذلك يعلم أنه المعلوم، ولا معلوم إلا الله.. وبذلك يدرك أنه الموجود، ولا موجود بحق إلا الله.. وبذلك يسعد أنه المشهود المشاهد، ولا مشهود إلا وجه جمال الله وجلال الله لعين وجهه.. وبذلك يقوم الحياة، حيا وهو يؤمن أنه لا إله إلا الله الحي القيوم، إذ يشهد أنه لا إله إلا الله في كل مشهود، وما كان حصن لا إله إلا الله، إلا الحق من الله.

أما الله أكبر فبها يظهر الحق برسول الله، وبعبد الله في قيام الله، في فطرة الله، وناموس الله، فيقدر الله حق قدره، ويعرف وجه الحق برسول الله، {قل جاء الحق وزهق الباطل}[١٠]، (والذي بعثني بالحق[١١] - من محمد! [١٢]) (من رآني فقد رآني حقا)[١٣]، و(ما عرفني غير ربي)[١٤]، (أُمة مذنبة ورب غفور)[١٥]، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[١٦].

بذلك قام دين الفطرة، وبذلك قام رسول الفطرة، وعن ذلك عَلَّم رسول الفطرة وعَلَمُها، وبذلك قامت آيات الفطرة بيانا لدينها بالآيات في أنفسنا، وبالآيات في الآفاق من حولنا، وبالآيات في

وحدتنا، وبالآيات في فرقتنا، وبالآيات في محبتنا، وبالآيات في مخاصمتنا، فكان التحاب في الله سبيل النجاة، كما كانت المخاصمة في الله سبيل المجاهدة في الله عند المتخاصمين في الله، ما صدقوا، فانتهت بهم دائما إلى سبيل المحبة فيه، وسبيل الخلاص بمراكب سفنه، (ما شاد الدين هذا الدين مشاد إلا غلبه)[١٧]، (هذا الدين القيم أوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[١٨]، (إثنان تحابا في اللّه، اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[١٩]. كتب الله لهم النجاة، وقد ظهر واقع هذا القانون وعمله فيما انتهى إليه العلماء في الغرب من صفات الإلحاد إلى صفة الإيمان الكامل ومقامات النبوة، بما دخلوا به من مخاصمة على المجال الروحي، وهم يطلبون وجه الحق في الأمر على ما كان عندهم، فخرجوا من أنفسهم على ما كانت إلى جديد لها مجند في خدمة العلم الروحي، ورسالة الروح.

ها هي الفطرة في عصرنا، تتكشف بكتابها وعلومها، ودينها واستقامتها بما تقدم عن علم الروح، العملي التجريبي، المُشاهدة فيه الروح بفعل ومظهر، وإخضاع قضية المعرفة بالروح لقواعد ونواميس العلم الحديث، وإخضاع أمر الصلة بالروح للتجربة والتدريب، وإخضاع المجهول من أمر النفس البشرية للظهور وكشف الغيب للشهادة بعلم الشهادة، بعلم تجريبي، بعلم علماني، بعلم واقعي، بعلم حسي، بعلم معملي، بعلم تفصيلي، بعلم معلل، يبين ويُعلّم عن النفس الأزلية الأبدية للكائن الإنساني الظاهر بأجهزته من أزليته في مظهر الوجود البشري في طريقه إلى أبديته، ليؤمن بنفسه سرمدية وليؤمن بتجلي الخالق بالخلق باطنا لظاهر، وليؤمن بالطريق إلى حقيته ظاهرا لباطن. {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}[٢٠]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك}[٢١]. ها نحن في زمان هذا العلم، وها هو ربه وملائكته يقدمه ويقوم عليه. {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[٢٢]، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢٣]، {وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}[٢٤].

ليس من رسالتنا هنا أن نقدم هذا العلم الروحي للناس على ما قدمه مقدموه من علماء الغرب مرة أخرى، لا ترفعا عن هذا العلم وطلبه بما لدينا عن الدين من الدين.. لا.. ولا عجزا عن ممارسة هذا العلم، وإنتاج معلومه بآثاره، وهو ما لا ننكر حقه وفائدته، وقد سَلَّمنا أنفسنا للقائمين به من عوالم الروح، ولكن لأننا، نُستَعمل هنا، من فضل الله علينا ومن رحمة الرسول بنا، لعوالم الملأ الأعلى لمرحلة تالية في رسالتهم بهذا العلم لهذا العالم إكراما لمحمد، وبيئة محمد موعودة بقائم من الحق في دوام.

هذه المرحلة هي من مراحل التطبيق، هي مرحلة الإفادة من هذا العلم، هي مرحلة الإفاضة بالروح من الروح، وتجديد البناء النفسي المظلم بالنور في أشباح الظلام، وتطهيره من أوزاره بالنار لتقوم شعلة النفوس في جلابيب النيام من الناس في هذا القيام. إنها المرحلة الأخطر، وسيتلوها من

المراحل ما هو أخطر فأخطر. إنها الطريق بعد البلاغ.. إنها الاستقامة بعد المعرفة.. إنها العلم بعد التصديق.. إنها التلبية بعد الاستماع للنداء.. إنها الحج لمن يطلب السلام.. إنها الحب لمن يطلب الخليل.. إنها القبلة لمن يطلب الجليل.. إنها الأمان لمن يطلب الدليل.. إنها الاجتماع على الحق بالعلم عن الحق لطالبي الحق لأنفسهم في أنفسهم.

إنها مرحلة تالية يتوحد فيها رسل الملأ الأعلى بالقَيِّمة من الملأ الأدنى، في قائم وحاضر هذا الملأ، ملأ للحق. إنهم رفاق من الملأ الأعلى، هم لنا رفاقا أعلى، يقومون بالحق أرواحا لرفاق من الملأ الأدنى أشباحا لأرواح. فالحق له أدناه ذاتا لروح، والحق له أعلاه روحا لذات، والحق له لانهائية في أعلاه بمعارج الروح، وله لانهائية في أدناه بتجدد الخلق بلا انتهاء بالتكاثر. إنها الفطرة تكشف عن أعز ما فيها، تكشف عن الحق في دوامه، وتذهب بغلالة الباطل، لا بقاء لها بكشفها عن قائم الحق، لا انقضاء له، ولا خفاء له، ولا ريب فيه.

إن علماء الغرب الذين أفادوا من علومهم عن الطبيعة، والرياضة، والفلك، والطب، وعلوم النفس، والفلسفة، وغيرها، فيما علموا من علم الروح، وقد تفضلت الروح بتعليمهم، وتواضعت لتكون مستجيبة لأمرهم، ماحية لشكهم، مقيمة لإيمانهم، مجددة لعقولهم، مسعدة لقلوبهم، مطمئنة لنفوسهم بما وهبتهم مما قدروا أمره لخيرهم بعلمهم، وصفاء نفوسهم، جعلت منهم أنبياء عصورهم، ورسل علومهم، ومصابيح عوالمهم، وداني الحق بقيام الحق بهم لبيوت متابَعتِهم. لقد قاموا بين شقي الحياة، تعلموا وأعلموا في حياتهم وبعد انتقالهم، مواصلين ومجددين ما كانوا فيه في دنيا قيامهم، مقدمين بمواصلة صلتهم جديد علمهم بعد ارتحالهم، إلى ما أقاموا من علمهم في حال قيامهم قبل غيابهم وارتحالهم، مبعوثين على ما ماتوا عليه مما أحبوا. لم تطل بهم سكرة الموت، وقامت قيامتهم بإفاقتهم، عاملين في عالمي الحياة وشقيها من دنييها.

سبحان الله، سبحان فاطر السموات والأرض، لقد قام هؤلاء العلماء بحقائقهم لمعانيهم من الله، ومن اللانهاية، ومن الحياة، بما أنكر الناس على مؤسسي الأديان بينهم، من أنبيائهم، وأوادم أنفسهم.

أنكر قوم موسى أن الذي كلم موسى قَدَّر موسى يوم توفاه على أن يكلمهم، وهو مكلمهم، وقد وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت. كما أنكر قوم محمد على محمد أن الذي أشهد نفسه لمحمد مَكَّن محمدا يوم قامه حقا أن يُشهد نفسه لمن يطلب شهوده، وهو مشهدهم معصوبي العيون عمي القلوب. كما أنكر قوم عيسى على أن الذي أقام عيسى في نفسه، وأقام من عيسى نفسا له، وقد جعل منه كلمته وروحه متجددة متعددة، مكن عيسى أن يقيم فيه من يصطفيه، وأن يقوم في الناس بمن يرتضيه، وقد

جعل منه الأعلى مثلا ضرب للناس ليرتضوه لأئمتهم من أنفسهم، ضَمِن الله قيامه بمن يهدي الله فيه، يهتدي ليهدي.

إن مثل ليونل باريمور، الروحي الذي كان عمله في الحياة الدنيا ممثلا ناجحا، عبر بطبيعة حياته ووظيفة شبحه تعبيرا فطريا عن معنى الحياة البشرية، أو الحياة الشبحية من أنها ليست إلا مظاهر مسرحية، ولقطات سينمائية في تمثيلية الحياة الدنيوية على مسرحها من الأرض، وقد كان مؤمنا بالرسالة الروحية، منشغلا بها، استطاع بعد غيابه عن الأرض أن يعود إليها، وأن يتخذ وسيطا له منها، وأن يواصل علمه فيما عَلِم، وأن يُعلم بما عَلِم، ومثلِه من المشتغلين بالعلم الروحي الحديث الكثيرون، فضلا عن الأقدمين.

سبحان الله، إن موسى لم يصل عند قومه إلى هذا المعنى، ومحمد لم يصل في قومه إلى هذا المقام عند من ينكرون عليه صلته بمن اتصل بهم منهم، وعيسى لم يرَ في أمته في هذا المجال وهو المثل المضروب لهذا عند المسلم الفطري الصادق لكل داعي صادق.

صدق رسول الفطرة، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢٥] .. صدقت يا رسول الله، ها هم أصحابك، برجسون، وكروكس، وباريمور، وغيرهم، ها هم يظهرون، بما هو لك من الله، وبما أنكره عليك قومك من الله، ها أنت يُمكنك الله أن تجابه مكذبيك، وأن تخزي شانئيك، وأن تجبه جاحديك، فتظهر بما أعطيت من الكوثر، حقا يتكاثر من ذاتك وروحك، وتكون ببيتك وأهلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لا شرف لعربي على أعجمي عندك إلا بالتقوى، متخلقا بأخلاق ربك صاحب النور، تمشي بنورك في الناس، مزوية لك الأرض، مظاهِرَة لك السماء، منكرا على ذاتك، فما كان المؤمنون بك إلا المؤمنون بالفطرة، أنت عنوانهم، وأنت عنوانها لهم، وأنت باطنهم، وأنت مظهرها بهم، وأنت حقيقتهم، وأنت حقها لهم وجوهرها بهم.

فما كانوا إلا المؤمنين بالعلم أنت كتابه، وأنت قلمه وصحائفه، وأنت حروفه وكلماته، وجمعه وجماعه وألواحه.. أنت نور الكتاب ومصباحه، أنت الكتاب حيا بعترتك، وحروف الكتاب حية بأمتك، يوم يحيا الناس بالكتاب حروفا له، إذ يحيون بك، خلايا فيك، وظلالا لك.

يا كتاب الله.. يا عترة الله.. يا حضرة الله.. يا نور الله.. يا وجه الله.. يا وجوه الله.. يا قائم الله.. يا قيوم الله.. يا اسم الله.. يا حق الله.. يا رسول الله.. يا حقية عباد الله.. وحقية الرب رحمةً من الله.. بك كان الله من وراء الرب، ومن وراء العبد بحقه في عين تجليه بهما رفيقان وخليلان وحبيبان ووجهان، لا شريك له من رب أو عبد إذ هو عين موجودهم، فلا شريك له من وجوده بهم.

يا من حملت شعار لا إله إلا الله، ورفعت شعار لا إله إلا الله، وحققت لنفسك في لا إله إلا الله قيام لا إله إلا الله ذكرا محدثا، لعين ذكر قديم في الله، لا أول له ولا آخر له.. في الحق لا أول له ولا آخر له.. في العبودية لا أول لها ولا آخر لها.. في الحقية لا أول لها ولا آخر لها.. في الخلقية لا أول لها ولا آخر لها، وكنت بمعناك أولا فيه لمن بعدك، وبيانا به ممن قبلك.

يا كل شيء، لمن أراد أن يكون في الله كل شيء، فكان بك كل شيء ممن هو كل شيء، وممن هو من وراء كل شيء، وممن هو منزه عن كل شيء. اللهم به كن لنا كل شيء لنا، وكل شيء من حولنا.

هكذا كان الرسول إنسانا ورسولا لله قبل أن يكون لعلمنا، وعلى هذا كان على ما كان عندما كان لعلم من قبلنا، وبهذا يكون بعد الذي كان لعلم من بعدنا، فما غاب له في الكون كيان إذ هكذا هو كائن، على ما هو في دوام كان ويكون، وهكذا لطالب يكون، ما قام في كائنه ليكون رحمة للعالمين، وكافة للطالبين، وهدية للصادقين، ومنارة للمتقين، وحوضا للمفتقرين، وسبيلا للمجاهدين، في كل أمة وفي كل حين.

ها هو الغرب، وقد كنا نرى فيه غروب الحق، بجهلنا، فإذا هو الشرق، لقلوبنا ولوعينا. وها هو الشرق وقد آمناه مشرقا في دوام بموروث كبريائنا، فإذاه بنا مسجى في الظلام والجهل والغفلة عن الحق، يلوك اسم الله لفظا لا واقع له فيه، وبغروب شمس الحق فيه عن أهله، غفلوا عن ذكر الله لقلوبهم، فتناساهم الله إلى أنفسهم، بهم صار مشرقهم مغربا، {أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى}[٢٦].

أما الغرب فقد انقشعت حجب الغفلة عن أهله بصائر، فقاموا بعلوم الحق، بعد قيام بعلوم الخلق، انقضاءً للقضاء فيهم، بالغلبة للرحمة عليهم، رحمته غلبت عذابه، وأمره بالغ في الناس مراده، ما تشكك الناس في أمر أنفسهم من ظلام قيامهم، فأحسوا بالافتقار إلى نور الحق لقلوبهم، فأشرقت شمس حقيقته على أرضها، من دحية صدوره، دحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها. وتلك الأيام يداولها بين الناس، فقد زاحم الغرب الشرق على دينه وعلمه ودنياه ومدنيته، فزحمه يوم غفل الشرق، مُسيئًا الاستقامة في سلطانه بدينه، مستذلا الغرب بعزته.

ها هي لفتة من لفتات الفطرة، نثيرها في العقل صحوة من صحوات الفطرة، تجديدا لدين الفطرة تأتي به من الغرب، وقديما أتت به من الشرق، بما أقامت البشرية لنفسها، بيقظتها لقديمها، إحياءً للرجاء عند قائمها وقادمها، بفعل من قديمها وقائمها، بما أقامت من معالم لعقائد وطريق الفطرة، بما قام من العلم الروحي على الأسس العلمية الحديثة، من التجربة والمشاهدة والإحصاء، للكشف عن أسرار

الروح في انطلاقها، بتعاليمها للأرواح في أكنانها بأشباحها، حتى يتكشف لها حجاب الغفلة عنها، وتصحو إلى فجر يومها من سَحَر ليلها، ملبية مآذن الصباح، متنبهة إلى قرب فجر الإصباح، يشرق بنوره وبدفئه وضحاه على أرض القلوب، فتصحو من نومها بمعرفة النفس عن نفسها، وبقيام العقول في واجب وعيها، وبإحياء القوالب، دور عوالمها، ومعالم بيوتها.

إنا ننتظر الكثير من العلم الروحي الحديث، وإن أول الغيث قطرة. إن علم الروح الحديث، وقد بايعه علماء كل علم، ليكون سيد العلوم، وليكون إمام كل معرفة، وليكون قوام كل معلوم، وغاية كل عالم، سيأخذ طريقه بيننا في شئوننا بفاعلية وواقع لا ينكر ولا يقاوم، فها هو تتطور به الفلسفة والحكمة، وها هو يتطور به الدين والعقيدة، وها هو يتطور به العلم إلى جديد معلوم، في كل شعبة من شعب العلم والمعرفة.

وسيأتي اليوم الذي يسعد فيه الناس بهذا العلم، يمتد واقعه إلى حياتهم الفردية، وحياتهم الجماعية، وحياتهم الشعوبية، وحياتهم الحكومية، وحياتهم الإنسانية، وحياتهم الديموقراطية، وحياتهم الاشتراكية، وحياتهم الفاشية، وحياتهم الأرستقراطية، وحياتهم الرأسمالية، وفي أي ما يكون لهم من أوضاع أو عقائد أو نظم أو ضرورات، تنظيما للحياة البشرية على الأرض، وربطها بالحياة الإنسانية في جميع مستوياتها.

سينطلق هذا العلم لينظم الحياة البشرية ارتباطا وتناسقا مع حيواتها الروحية في كل ناحية من نواحيها، وفي كل مجال من مجالاتها، وهذا ما بشرت ووعدت به رسالة الفطرة، وهذا ما عَرَّفت عنه وأوصت به رسالة الفطرة، وبدأته ليقوم. وهذا ما دعت إليه وحذرت من الغفلة عنه أو تعطيله.

وهذا ما قام به رسول الفطرة وأهل بيته، وعترة الفطرة من صحبه ومتابعيه، كلمات لله، ورعيلا أول له من حاضر هذه البشرية، ما زال له ظلالا يظاهرها من صلح لمعنى الإنسان من آزالها.. حضرات حقية بملئها لحقي ملئه بها، وهذا ما به قام ويقوم الرسول، وما به بقي ويبقى، وما به تجدد ويتجدد، وما عليه عمل ويعمل، وما به كرم ويكرم بدائم المحبة، {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا}[٢٧]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٢٨]. كان برسالته رحمة للعالمين، زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا، فكان علم الفطرة حقا، ورسولها صدقا، وكانت الفطرة مجندة بقوانينها لنصرته فعلا، وكان للناس شعار الحب والسلام دوما.

اللهم يا من جعلت من محمد عبدك ورسولك وحقك وبيتك وذكرك، قياما دائما إعلاما عنك، جديدا في جديد الخلق، وقديما في قديم الخلق، وباقيا في باقي الخلق، ذاهبا مع ذاهب الخلق، وآتيا مع آتي

الخلق، شعارا لقائم فطرتك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فأكرمنا.. اللهم به فجددنا.. اللهم به فأعلِ كلمة الحق علينا، وأعلِ كلمة الحق بنا، وأعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق منا.

اللهم يا من جعلت منه حوض الحياة، أوردنا حوضه لنحيا.. اللهم يا من جعلت به مصباح الحياة، اللهم أشرق بمصباحك به على قلوبنا لتحيا.. اللهم يا من جعلته جذوة الحياة من نار الحياة المشعلة، اللهم أشعل به جذوة نفوسنا خاملة، وأحيِ أرضنا هامدة، ومهد به طريقنا مستقيمة.

اللهم يا من جعلته سلاما لمن دخل سلامه، فأدخلته في سلامك، فكان له منك السلام، أدخلنا سلامك، وأدخلنا في السلم معه حتى ندخل في السلم معك.. اللهم يا من جعلت الإسلام في الإسلام له، وطلبت إلينا التسليم له والصلاة عليه، ارزقنا به الأمان معك.

اللهم يا من قمت على كل نفس بما كسبت، اللهم لا تجعل لنا كسبا إلا ما أردت بنا بمرادك بخلقنا عبادا لك، يا من هو الخير ومنه الخير، ويرضى الخير ولا يرضى إلا الخير، اللهم ارزقنا الخير واجعلنا من أهل الخير، واجعل اللهم منا خيرا لمن يطلب الخير.

اللهم اجمعنا على امتداده بنورك معه في عباد رحمتك بيننا ومن أنفسنا قياما له وظلال رحمتك به، فقد علمناه بكتابك فينا وبيننا، فلا تحرم برحمتك أيدينا من الامتداد إلى يدك بيننا به، مبايعين على أنفسنا لظلال نفسه، مُسلِمين لحقك وأمرك به لقائم وجهك. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك. الكل في السماء قبل الأرض عبدك، والعبد للعبد حقك.

## أضواء على الطريق

(من أكثر الأمور المحزنة لنا أنّا مضطرون في أكثر الأحيان أن نقف مكتوفي الأيدي، معدومي القوى، ونحن نشاهد من نحبهم في جهاد مع إحدى مشاكل الحياة، عارفين أنه يجب علينا ألا نساعد في ذلك الدور، وأن نموهم وترعرع خلقهم، وتقوية روحهم، يتوقف على تصرفهم للخروج من المأزق، إذ لديكم إرادتكم المطلقة، وأنتم من تقررون كيف تستعملونها بناء على ثاقب فكركم، وحالة تطوركم، ودور نموكم. ونحن بجواركم لنساعدكم عندما نستطيع، وعندما تكون المساعدة لخيركم.)

(برش)

## مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النساء - ٤١

٢ حديث شريف أخرجه البيهقي في" سننه" بلفظ، (أَمْرًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَخَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا.) (ضعيف). وكذا أخرجه مطرف والديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعا.وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا.

٣ سورة النحل - ١

٤ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٥ سورة الأعراف - ١٧٢

٦ سورة النحل - ١٢٠

٧ سورة الحجرات-٧

٨ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٠ سورة الإسراء - ٨١

١١ العبارة الأولى هي قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه. وعبارة (من محمد!) عبارة تشير فيها علامة التعجب إلى التنبيه إلى أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس مجرد شخص يحمل هذا الاسم، ولكنه نور، وسراج منير. لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "من رآني فقد رأى الحق."

١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٣ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

١٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةٌ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

١٦ سورة الحديد - ٢٨

١٧ من حديث شريف: "إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ أحد إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالْغدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجةِ." رواه البخاري.

١٨ حديث شريف: "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبَتَّ لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى." أخرجه البزار والحاكم، وكذلك البيهقي باختلاف يسير. وأخرجه أحمد " إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق".

١٩ من الحديث الشريف: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ." صحيح البخاري.

٢٠ سورة الإسراء -٨٥

٢١ سورة الأنعام - ١٥٨

٢٢ سورة القيامة - ١٨:١٩

٢٣ سورة النحل - ١٢٨

٢٤ سورة الشورى - ٢٩

٢٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٦ سورة طه -١٢٦

٢٧ سورة الشورى - ٢٣

٢٨ سورة الأحزاب - ٦